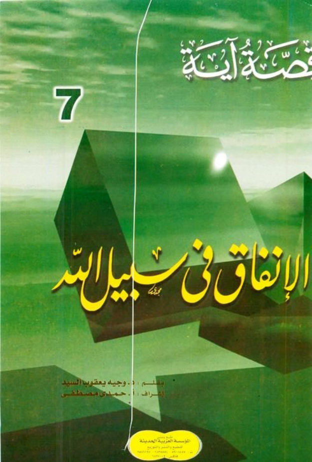

قصة آية
7
الإنفاق فى سبيل الله
بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
إشراف : أ. حمدى مصطفى
طبع ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

الإنفاق فى سبيل الله

قالَ (تعالَى) :

﴿ وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

[البقرة : ١٩٥]

كانَ طَاهِر وعَبْدُ الرَّحْمن صَديقَيْن حَمِيمَيْن ، تَرْبطُ بيْنَهما مُنْذُ الطُّفُولَة أَواصِرُ الصَّداقَة والأُخُوَّة فى اللَّه .

وقد اتَّفَقَا على الاجْتماعِ أسْبُوعيًّا فى مَنْزِل أَحَدِهما لتلاوَة الْقُرآن الكَريم ودراسَة تَفْسِيره ، بالاستعانَة بوالِد طَاهِر الَّذى كانَ مُتخَصِّصًا فى عُلُوم القُرآن .

وذاتَ يومٍ اخْتلَفَ الصَّديقانِ حولَ تفسيرِ قوْلِه (تعالى) :

﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾

فقالَ عبدُ الرحمن :

ـ إذا كانَ الإنسانُ يُواجهُ بمُفْرَدِه جماعةً منَ النَّاس ، وهو واثقٌ أنَّه لا يستطيعُ مُواجَهتَهُمْ ، فعلَيْه أنْ ينسَحبَ ويُؤجِّلَ هذه المُواجَهةَ .

فقالَ طاهرٌ :

ـ إذنْ أينَ الشَّجاعةُ الَّتى يَجبُ أنْ يتحلَّى بها المُسْلمُ ؟

ثمَّ أضافَ طاهرٌ قائلاً :

ـ إنَّ بدايةَ الآيةِ تتحدَّثُ عنِ الإنْفاقِ فى سَبيلِ اللَّه ، وأَشْعُرُ بأنَّ هُناكَ ارْتباطًا ما بينَ هذا المَوْضُوعِ وبَيْنَ ما نتحدَّثُ عنْهُ .



وافقَ عبْدُ الرَّحمن صَديقهُ مُؤقَّتاً مُفضلاً الابْتعادَ عَن الْجدالِ والْمراءِ بغَيْرِ علْمٍ ، وقالَ فى هُدُوءٍ :

ـ ما رأْيكَ لو اسْتَعنَّا بأحَدِ كُتُبِ التَّفْسيرِ الْمَوجُودةِ فى مكْتبَةِ والدكَ ؟

فأجابَ طَاهرٌ :

ـ إنَّ والدى الْيوْمَ فى إجازةٍ من الْعَملِ ، وهو الآنَ فى مكْتبتهِ ، وأرَى أنْ ننْتهزَ هذه الْفُرْصَةَ ونسْألهُ عن قصَّة هذه الآيَة وتفْسيرِها .

أسْرعَ الصَّديقانِ إلى الْمكْتبَةِ ، وقبْلَ أنْ يدْخُلا طرقَ طَاهر على الْباب ، فأذنَ لَهُ والدُهُ بالدُّخول هو وصَديقه عَبْد الرَّحْمن .

وبعْدَ أنْ سلَّمَ الْوالدُ على ابْنه وصَديقهِ أجْلسَهُما بجوارِه وأخَذ يسْتَمعُ إليْهما فى إنْصاتٍ وإعْجابٍ شَديدٍ .

عقَّبَ الْوالِدُ على كَلامِ طاهِرٍ وعبْدِ الرَّحمنِ قائلاً :

- إنَّ الْقرآنَ الْكريمَ هو كتابُ اللَّهِ الْمُعجزُ ، مَليءٌ بالأَسرارِ والْمَواعظِ ، وهذه الأَسْرارُ لا تَنْكشفُ إلاَّ لأَهْلِ الْقرآنِ وخاصَّةً الَّذين يُؤْمنون به ويُوقِّرُونَه فى قُلُوبِهم وعُقولِهمْ .

ثم راحَ يَقُصُّ عليْهِمْ قصَّةَ هذه الآيةِ فقالَ : كانَ صحابةُ الرَّسُولِ ﷺ يحاربُونَ جيْشَ الرُّومِ فى الْقُسْطَنْطِينيَّةِ بأَمْرٍ من رسولِ اللَّهِ ﷺ .

وكانَ عددُ الْمُسْلمينَ قليلاً ، كما كانت أَسلحَتُهُمْ غيْرَ كافيةٍ ، مقارنةً بجَيْشِ الرُّومِ الْجرَّارِ الذى يُقدَّرُ بالأُلوفِ ، وإضافةً لذلكَ فقد اسْتعدَّ جيْشُ الرُّومِ اسْتعْداداً جيِّداً ، فتحصَّنُوا فى الْحُصُونِ الْمَنيعَةِ ولبِسُوا

الدُّروعَ الثَّقيلةَ حتى لا يصلَ إليهمْ أحدٌ من الْمُسلمين .

ووقفَ الْمُسْلمون حائرين يُفكِّرون فى الأَمْرِ : هلْ يتقدَّمونَ على قلْبِ رجُلٍ واحدٍ ويُحاربونَ فى شَجاعةٍ واستبْسالٍ مهْما كلَّفهُمُ الأمْرُ ، أمْ يتأخَّرُونَ حتَّى لا يتعرَّضُوا لهزيمةٍ ساحقةٍ ؟

ونظرَ رجُلٌ منَ الْمُسْلمينَ إلى الْموْقفِ فقالَ فى نَفْسه :

- لابُدَّ منْ موْقفٍ حاسمٍ ، حتى يتهيَّأَ الْمُسْلمونَ لدُخُولِ الْمعرَكةِ .

وعلى الْفوْرِ لبسَ هذا الرَّجُلُ ملابسَ الْحرْبِ ، وسلَّ سيْفهُ وحملَ على الْعدُوِّ حمْلةً قويَّةً ، ولمَّا رآهُ الْمُسْلمونَ على هذه

الْحال أَيْقَنُوا أَنَّهُ هَالِكٌ لا مَحالَةَ ، لأَنَّهُ يواجِهُ جُنُودًا مُدرَّعِينَ بأَحْدَث الأَسْلِحَة ، بَيْنَما هو لا يَحْمِلُ سوى سَيْف صَغِيرٍ .

وحاوَلَ الْمُسْلمون أَنْ يُثْنوا هذا الرَّجُلَ عن عَزْمه فقَالوا :

ـ سُبْحَانَ اللَّه ، لا تتقدَّمْ إِنَّكَ تُلْقى بِيَدَيْكَ إِلى التَّهْلُكَة !

وكانَ الصَّحابِىُّ الْجليلُ أَبُو أَيُّوب الأَنْصارىُّ حاضِراً هذا الْموْقِفَ فقالَ :

ـ أَوْلَى بكُمْ أَنْ تَفْعلوا مِثْلَ مـا فَعلَ هذا الرَّجُلُ بَدلاً من إِثْنائه عنْ ذلكَ ، فوَاللَّه إِنَّكُمْ تتـأَوَّلُون هذه الآيَةَ هذا التَّأْوِيلَ ، ومـا أُنْزلَتْ فى هذَا الْمعْنَى ولا فى هذا الْموْقف .

تعَجَّبَ الصَّحابَةُ وسأَلوا أَبَا أَيُّوبَ قائلِينَ :

ـ حدِّثْنَا إذْنْ فِيمَنْ نزَلَتْ فِيهم هذه الآيَةُ وما مَعْناها ؟

فقال أبُو أيُّوب الأنْصارىُّ :

ـ إنَّما نزَلَتْ هذه الآيَةُ فِينا مَعَاشرَ الأنْصار . لَمَّا أعزَّ اللَّهُ الإسْلام وكَثُر ناصِرُوهُ . قال بعْضُنَا :

ـ إنَّ أمْوالَنا قدْ ضاعَتْ .

وقال آخَرُون :

ـ وإنَّ اللَّهَ قدْ أعزَّ الإسْلامَ الآنَ وكَثُرَ ناصِرُوهُ .

واتَّفَقْنا فى نِهايَة الأمْر أنْ نَحْتفظَ بأمْوالنا ولا نُنْفقَهَا فى سَبيل اللَّه بسَبَب ما حلَّ بنا منْ فَقْرٍ وفاقة .

وأضافَ أبُو أيُّوب الأنْصارىُّ قائلاً :

ـ ولمْ يكُنِ الرَّسولُ ﷺ يعلَم بما يدُورُ بيْنَنا ، فأنْزلَ اللَّهُ (تعالَى) على نبيِّه قوْلَه :

﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٥]

واسْتجابَ الصَّحابةُ على الفَوْرِ لأمْرِ اللَّه (تعالَى) ، فتوسَّعُوا فى الإنْفاقِ فى سبيلِ اللَّه ، ولمْ يتقاعسُوا عن الغَزْوِ والجهادِ فى سبيلِ اللَّه ، حتَّى إنَّ أبَا أيُّوبَ الأنْصارىَّ ظلَّ حتى آخر عُمْرِه يُجاهِدُ فى سَبيلِ اللَّه حتَّى مات ودُفنَ بأرْضِ الرُّومِ امْتثالاً لأمْرِ اللَّه (تعالَى) .

فمعْنَى الآيةِ الكَريمةِ : لا تُلْقُوا بأيْديكُم إلى التَّهْلُكةِ بأنْ تتْرُكُوا النَّفَقةَ فى سبيلِ اللَّه وتَخافُوا الْفقْرَ ، فيقُولُ الرَّجُلُ : ليْسَ عنْدِى ما أُنْفقُهُ .

فالإنْفاقُ فى سَبيلِ اللَّه واجبٌ على كُلِّ مُسْلِمٍ ، حتَّى وإنْ كانَ لا يَمْلِكُ سِوى اليَسيرِ والْقَليلِ .

وذلكَ أنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ عنْدَمَا أمَرَ النَّاسَ بالْخُروجِ إلى الْجهاد فى سَبيلِ اللَّه ، قامَ إليْه أُناسٌ منَ الأعْرابِ وقالُوا :

ـ بماذا نتَجهَّزُ ؟ فوَاللَّه ما لَنا زادٌ ولا يُطْعِمُنا أحَدٌ .

فأنْزلَ اللَّهُ (تعالى) : ﴿ وأنْفِقُوا فى سَبيلِ اللَّه ﴾ ، وأمَرَ أهْلَ الإحْسانِ والْغِنى أنْ يتَصدَّقوا فى سَبيلِ اللَّه ، وألاَّ يبْخلُوا ويُمْسِكوا عنِ الصَّدقَة حتى لا يَهْلكُوا ويتعَرَّضوا لعذابِ اللَّه وعُقُوبَته .

وما إنِ انْتَهى الْوالدُ من سرْدِ هذه الْقصَّة

حتَّى بَدتْ على الصَّديقيْن علامات الرِّضا والسَّعادة بعْد أنْ فهما المعْنى الحقيقيَّ لقوْله (تعالى) : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾

وقبْل أنْ ينْهى الوالد حديثه قال :

ـ وهُناك معْنًى لطيفٌ أُحبُّ أنْ يعْرفهُ كُلٌّ منْكُما ، حتَّى تتَّضح كُلُّ جوانب الآية الْكريمة .

فقدْ سُئل الصَّحابيُّ الْجليل الْبراءُ بْنُ عازب عنْ هذه الآية ، فقيل له :

ـ أهُو الرَّجُلُ يحْملُ على الْكتيبة ؟

فقال :

ـ لا ولكنَّهُ الرَّجُلُ يُصيبُ الذَّنْب فيُلْقى بيديْه ويقُولُ : قدْ بالغْتُ فى الْمعاصى ولا فائدة فى التَّوْبة ، فييْئس من اللَّه فينْهمكُ بعْد ذلك فى الْمعاصى .

فالْهلاك : الْيأْس من اللّه .

قالَ (تعالَى) :

﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾

[يوسف : ٨٧]

إنَّ الآية الْكريمة تُرْشدُنا إلى قمَّة الإنْفاق في سبيلِ اللّه ، وخاصَّةً إذا جاء هذا الإنْفاقُ وقْتَ الشِّدَّة وحين تحتاج إليه الأُمَّةُ الْمُسْلمةُ .

قالَ (تعالَى) :

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾

[البقرة : ٢٦١، ٢٦٢]

وعنْ أنسٍ رضي الله عنه قال :

ـ كـانَ أبُو طَلْحـةَ رضي الله عنه أكْثـرَ الأنْصـارِ بالْمدينَةِ مَالاً منْ نَخلٍ ، وكـانَ أحبَّ أموالِهِ إليْه حَديقةٌ مُجاورةٌ للْمَسْجد .

وكانَ رسولُ اللَّه ﷺ يدْخُلُها ويشْرَبُ منْ ماءٍ فيها طيِّبٍ . قالَ أنس :

ـ فلمَّا نزلَتْ هذه الآيَة :

﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ ﴾ [آل عمران : ٩٢]

قامَ أَبو طَلْحَةَ إلى رَسُولِ اللَّه ﷺ فقال :

ـ يا رَسُولَ اللَّه إنَّ اللَّه (تعالى) أَنْزلَ عليكَ

﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ ﴾ [آل عمران : ٩٢]

وإنَّ أَحبَّ مالي إليَّ حَديقةٌ ، وإنَّها صَدَقةٌ للَّه (تعالَى) أَرْجُو بِرَّهَا وذُخْرَها عِنْدَ اللَّه (تعالَى)

فضعْها يا رَسُولَ اللّه حيْثُ أَراكَ اللّهُ .

فقالَ رَسولُ اللّه ﷺ :

« بَخ ! ذلكَ مَالٌ رَابِحٌ ، ذلكَ مَالٌ رَابِحٌ ، وقدْ سَمعْتُ مـا قُلْتَ ، وإِنِّي أَرَى أَنْ تجْعلهَا في الأَقْرَبِينَ »

فقالَ أَبُو طَلْحَةَ :

أَفْعلُ يا رَسُولَ اللّه .

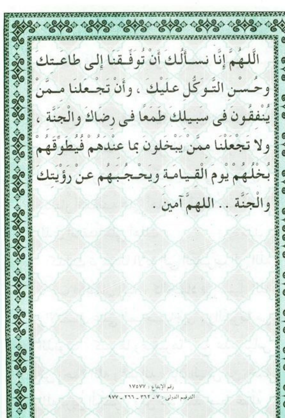
فقسَّمَها أَبُو طلْحَةَ في أَقَاربه وبَني عمِّه ..

ولا شكَّ أَنَّ الإِنْفَاقَ في سَبِيلِ اللّه دليلٌ على سَمَاحَةِ النَّفْس وَسَخاءِ الطَّبْع ، وليس شـرْطًا أَنْ يكونَ الإِنفاقُ بالْكَثيـرِ ، فاللّهُ (تعالَى) يَقْبَلُ الْيَسيرَ ويتجاوزُ عَنِ الْكَثيرِ .

كذلك فإنَّ أَوْلى النَّاسِ بالإنْفاقِ علَيْهِم هُمُ الأَهْلَ والأَقَارِبُ ثم سَائِرُ المُسْلمينَ ، فعَنْ أبى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ : قالَ رسولُ اللّه ﷺ :

« دينارٌ أنْفَقْتَهُ فى سَبيلِ اللّهِ ، ودينارٌ أنْفَقْتَهُ فى رقَبَةٍ ، ودينارٌ تصدَّقْتَ به على مسكينٍ ، ودينارٌ أَنْفَقْتَـهُ على أَهْلِكَ . أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذى أنْفَقْتَهُ على أَهْلِكَ » [رواه مسلم]

كذلكَ ترْشدُنا الآيَةُ إلى التَّقَرُّبِ إلى اللّه بأحبِّ الأَعْمالِ إلَيْهِ ، كالْجِهادِ فى سَبيلِ اللّه والإنْفَاقِ علَى المُحْتَاجين ، والتَّوْبَةِ من الذُّنُوبِ ، كَبيرِهَا وصَغيرِهَا ، مع عدَمِ الْيَأْسِ من رَحْمَةِ اللّه وغُفْرانه ، فإنَّ اليَأْسَ من رَحْمَةِ اللّه قرينُ الْكُفْرِ ، ومَنْ كفر فقدْ حبطَ عَمَلُهُ .



اللَّهُمَّ إنَّا نسـألُك أنْ تُوفِّـقنا إلى طاعـتك وحُسْـنِ التَّـوكُّلِ علـيْكَ ، وأنْ تجْـعلنا مـمَّنْ يُنفقُونَ فى سبـيلك طَمعًا فى رِضَاكَ والْجَنَّة ، ولا تَجْعلْنا ممَّنْ يبْخلون بما عنْدهُمْ فيُطوِّقهُمْ بُخْلُهُمْ يوم الْقيامَة ويَحْجُبـهُم عن رؤْيَتِك والْجنَّةِ .. اللهمَّ آمين .

رقم الإيداع : ١٧٥٧٧
الترقيم الدولى : ٧ ـ ٣٦٢ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧